مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا عدد 02 خاص -أفريل2022 ص ص: 163-178
ر ت م د (ISSN): 2602-618X / ر ت م د إ (E-ISSN): 2710-8031

دور قبيلة هوارة في نشر المذهب الإباضي

قبل وأثناء العهد الرستميّ ببلاد المغرب الإسلامي

The role of the Huara tribe in spreading the doctrine of the past before and during the Covenant The Islamic Maghreb

ط.د. بن ميرة بن سعيد [1]♦ – غربي بغداد [2]

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف [2]baghdadgharbi@yahoo.fr

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف [1]benmira2008@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/10/21 تاريخ القبول: 2022/01/29 تاريخ النشر: 2022/04/30

الملخص باللغة العربية:

لا شكّ أنّ النّوراتِ الّتي قامت بها قبيلة هوارة في بلاد المغرب الإسلامي قبل ظهور الدّولة الرّستميّة، وحتّى ساعة افولها، كان مرتبطًا أساسًا باعتناق بطونها المذهب الخارجيّ بشقّيه الصّفريّ والإباضيّ، ولمّا قامت هذه الأخيرة كانت قبيلة هوارة من أبرز القبائل الّتي لعبت دورًا في حياتها، وإن تعدّدت الأوجه إيجابًا أو سلبًا تبعًا لتلك المحن الّتي مرّت بها الدّولة الرّستميّة من جهة، وتلك الطّموحات السّياسيّة لهذه القبيلة الثّائرة من جهة أخرى، كما أنّ التاريخ سجّل لهذه القبيلة ثباتها على المذهب الإباضي خلال تلك الحقبة، والذي على ما يبدو لم تتركه يتجاوز طموح عصبيّة قبيلتها، ولنا في ذلك العديد من القرائن، حيث إنّها رغم تأسيسها لأمارة وتمكنها من الاستيلاء على عاصمة الرّستميّين، لم نجد في كلّ المصادر، حسب ما تيسّر لنا، تذكر تمرّدها على المذهب الإباضي خلال فترة هذه الدّراسة، لذلك فإن قبيلة هوارة جمعت بين المساهمة في تأسيس المذهب الإباضي ولعب دور آخر تمثّل في حماية المجال المذهبيّ وتأمين حدوده بتيهرت وبمضارب طرابلس.

الكلمات المفتاحية: بلاد المغرب الإسلامي؛ الدّولة الرّستميّة؛ المذهب الإباضي؛ المذهب الصّفريّ؛ قبيلة هوارة.

Abstract :

♦ المؤلف المرسل

There is no doubt that the revolutions carried out by the Hawwara in the Islamic Maghreb before the emergence of the Rustamid, until the hour of its inception, were mainly linked to the embrace of Kharijit doctrine with its parts « Sufri and ibadi ». And when the latter was established, the Hawwara was one of the most prominent tribes that played a role in its life, although the facets were positively or negatively depending on the plight of the Rustamid on the one hand, and those political ambitions of this rebellious tribe on the other. History also recorded this tribe's stability over the Ibadi doctrine during that era, which apparently didn't leave it beyond the nervous ambition of its tribe, and we have many clues and since despite its founding of principality and its ability to capture the capital of the Rustamid, we didn't find in all sources, according to what was available to us, to remember its rebellion against the Ibadi doctrine during this study period. Therefore, the Hawwara combined the contribution to the founding of the Ibadi doctrine with another role, which was to protect the doctrine field and secure its borders in Tehert and Tripoli.

Key words : Islamic Maghreb, Rustamid, ibadi doctrine, Sufri doctrine, The Hawwara

مقدمة:

رغم أنّ النسابة قد صنّفوا قبائل فرع البرانس بالقبائل الحضريّة، والّتي تأخّرت نسبيًا في الدّخول للإسلام، عكس قرينتها البتريّة، إلّا أنّ قبيلة هوارة كانت سبّاقةً لاعتناقه، ولعلّ لموطنهم زمن الفتح الإسلامي الممتدّ حول طرابلس إلى سرت على خط التّماس الأوّل ببلاد المغرب باتّجاه مصر هو ما جعلها من القبائل الأولى المعتنقة للإسلام، بل ولعبت أدوارا أساسيّة سياسية ومذهبيّة رائدة خاصّة بعد اعتناقها المذهب الإباضيّ، حيث أصبحت قوة وعصبية مهمة في حماية هذا المذهب والذود عنه قبل تأسيس الدولة الرستمية، كما لعبت ادوار كبيرة سياسية اثر نشأة هذه الأخيرة، ومن هذا المنطلق جاء هذا المقال المبين لهذه الجوانب كلها من خلال الإجابة عن الإشكالية التي تبحث في الدور الذي لعبته قبيلة هوارة تجاه المذهب الخارجي الإباضي في المغرب الأوسط قبل وبعد تأسيس الدولة الرستمية ؟

1- نسب قبيلة هوارة ومضاربها:

1-1 نسب قبيلة هوارة

هناك اختلاف بين المؤرّخين والنسابة حول نسب هذه القبيلة، فهناك من يرى أنّها من أصل عربيّ وأنّهم من عرب اليمن، وينتسبون إلى المسور بن السكاسك بن وائل ابن حمير كما يذكر ابن خلدون[1]، ويرى اليعقوبي أن هوذراة (على حد قوله) تزعم أنّها قومٌ من اليمن جهلوا أنسابهم[2]، بينما هناك رأي آخر -ويبدو أنّه هو الغالب- يؤكّد ان نسبهم بربريّ من فرع البرانس، نسبة إلى هوار بن أوريغ بن برنس جدّ البرانس ومن بطون هوارة غريان وورفل وسراتة ومجريس[3]، ويطلق عليها أحيانا تسمية أوريغة نسبة الى اوريغ الجد الأول للقبيلة كلها[4].

وهناك رواية أوردها التيجاني في نسبة هذه القبيلة الى اسم هوارة وانه من التهور؛ يذكر فيها أن المسور بن يخصب(وهو جد هوار بن المثنى) كان يقطن بالحجاز فضلت له إبل فتوجه في طلبها إلى أن بلغ مصر ودخل بلاد المغرب طالبا لها فمرّ بجبال طرابلس فقال لغلامه أين نحن من الأرض؟، فقال بأرض إفريقية فقال لقد تهورنا[5] وهي رواية يشكك فيها ابن خلدون، واشتهرت هوارة بكثرة فروعها، فمنها من هو من نسل أوريغ (ملد، مقر، قلدت هوار)، ومنها من هو من سلالة ناتجة عن التصاهر البربريّ العربيّ واندمجت في هوارة وأخذت اسمها[6].

1-2 مضاربها : انت مواطن هوارة زمن الفتح من ضواحي طرابلس إلى ما يقارب سرت[7]، وفي رواية أخرى من طرابلس إلى برقة[8]، ويذكر اليعقوبي ان منازلهم من آخر عمل

---

[1]- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، د ط، 1959، ص 282. تابليت عمر، هوارة ودورها في تاريخ المغرب منذ بداية حركة الخوارج أواخر القرن 1 هـ/7 م حتى انتهاء ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد 335هـ/946م، دار المعية، ط1، 2011م، ص 13.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 282.

[3]- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، البلدان، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ص 184.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص: 291. بوزيان الدراجي، القبائل الامازيغية، ، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010، ج1، ص126.

[5]- التيجاني،. أبو محمد بن أحمد، رحلة التيجانية، الدارالعربية للكتاب، ليبيا تونس، 1981، ص216.

[6]- عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1968مج1، ص314.

[7]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص117.

سرت إلى طرابلس[9]، وهم يتصاهرون كما تتصاهر العرب، فمنهم بنو اللهان إن، وميلة، وورسطفة، فمن بني الله إن: بنو درصاو، وبنو مرزبان، وبنو ورفلة، وبنو مرساته، وسكنت طائفة منهم نفوسه[10]، وفي هذا السّياق قال ابن خلدون " وكانوا ظواعن وآهلين، ومنهم من قطع الرّمل إلى بلاد القفر، وجاوزوا لمطة من قبائل الملثمين الى بلاد كوكو من السودان"[11] ، ويبدو أن بطون هوارة كانت مفرقة على عديد من المضارب ببلاد المغرب، فمنهم من استوطن أحواز تيهرت[12]، وعرفوا ببني مسالة[13]، وكان لهم رؤساء يقال لهم الأوس، ويسمى واد تلك المضارب بواد هوارة[14]، كما كان لفروعهم ذكر بالمسيلة[15]، وليدة[16]، وتشجع[17]، وواد سوف -حاليا-[18].

إنّ تعدّد قبائل هوارة هو قرينة قويّة على كبر هذه القبيلة وتشعّب بطونها، ممّا أدّى الى اختلاط الامر على البعض فزعم أنّ مزاتة ولواتة كانوا في الأساس أحد بطون هوارة ثمّ انتقلوا إلى برقة وغيرها من البلاد[19]، بل إنّ ابن خلدون لم يستبعد حتّى قبيلة مليلة كبطنٍ

---

[8]- بوزياني الدراجي، القبائل الامازيغية، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010. ج2، ص26. مسعود مزهودي، جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام حتى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب(21-442هـ/242-1053م) قسم التاريخ، جامعة باتنة الجزائر، ص26.

[9]- اليعقوبي، المصدر السابق، ص 184.

[10]- الإدريسي، محمد عبد العزيز الشريف، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق ، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 125.

[11]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 286. بوزياني، المرجع السابق، ج2، ص 26.

[12]- اليعقوبي، المصدر السابق، ص 195.

[13]- نفسه، ص 195.

[14]- ابن الصغير المالكي، أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر بحاز إبراهيم بكير، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986، ص 52، 53.

[15]- مجهول(ت 6هـ)، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، مطبعة جامعة الإسكندرية، 1958، ص 172.

[16]- الإدريسي، المصدر السابق، ص 154.

[17]- القرشي، إدريس عماد الدين، عيون الأخبار وفنون الآثار، تح: مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت- لبنان، (د ت)، ج5 ، ص 73.

[18]- مسعود مزهودي، المرجع السابق، ص 27.

[19]- محمد سليمان أيوب، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، دار المصراتي للطباعة والنشر، طرابلس، (د ت)، ص 52.

تابعٍ لها[20]، ويقول اليعقوبي في نفس السياق "وهوارة يزعمون أنّهم من البربر القدم، وأنّ مزاتة ولواتة كانوا منهم فانقطعوا عنهم وفارقوا ديارهم وصاروا إلى أرض برقة وغيرها"[21].

2-إسهامات قبيلة هوارة في نصرة الإباضية قبل تأسيس الدّولة الرّستميّة:

اِرتبطت قبيلة هوارة بالمذهب الخارجيّ ارتباطاً كبيرا، فقد احتضنته بفروعه؛ الصّفريّ والإباضيّ، والوهابي والنكاري، ولا تكاد توجد ثورة خارجيّة إلّا وشاركت فيها هذه القبيلة، فمنذ العقد الثاني من القرن الثاني الهجريّ وتحديدًا منذ ثورة الصفريّين بقيادة عبد الواحد (124ه/742م) إلى ثورة ابي يزيد مخلّد بن كيداد(331ه/943م) كانت دائمًا قبيلة هوارة وقودًا لها[22].

وبالرّجوع إلى أوّل اتّصال لهذه القبيلة بالإسلام، نجد أنّ عمرو بن العاص قد تمكّن من تحقيق انتصارٍ سريعٍ على بطونِ هوارة[23]، وأصبحت هذه المضارب ممرا للمسلمين نحو بلاد المغرب رغم ردّة هذه القبائل عن الاسلام على غرار القبائل البربريّة الأخرى، والّتي أحصاها ابن خلدون باثنتي عشر مرّة[24]، لتتحوّل بعدها قبيلة هوارة إلى قبيلة رائدة في الثورات تحت غطاء المذهب الخارجيّ ضدّ الخلافة الاسلامية في المشرق، إمّا في إطار تحالفات قبيلة أو بشكل منفرد، ومن هذه الثّورات:

2-1 ثورات هوارة تحت راية صفريّة:

لقد احتضنت قبيلة هوارة مثل العديد من القبائل البربريّة النحلة الصفريّة في بداية ارتباطها بالمذهب الخارجيّ وشاركت في ثورة إفريقيّة سنة 123ه في عهد واليها كلثوم ابن عياض القشيريّ[25]، وكان ذلك بقيادة عكاشة الهواري وبدعمٍ من عبد الواحد بن يزيد الهواري، يقول ابن خلدون: "وهوارة يومئذ خوارج على الدّولة، منهم عكاشة بن أيوب

[20]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 220.
[21]- اليعقوبي، المصدر السابق، ص 184.
[22]- تابليت عمر، المرجع السابق، ص 184.
[23]- حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الآداب بالجماميز، 1947، ص 50.
[24]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 220.
[25]- نفسه، ج6، ص 222.

وعبد الواحد بن يزيد في قومهما، فثارت هوارة ومن تبعهم"[26]، وخاض الاخيرين عدّة معارك ضدّ الخلافة الأمويّة منها "وقعة القرن"[27]، ومعركة باجة ووقعة الأصنام[28].

2-2 ثورات هوارة براية إباضيّة:

لقد كانت ثورات الإباضيّة متأخّرة نسبيًا عن ثورات الصّفريّة، وأمام نجاح هذه الأخيرة انطلقت ثورات الإباضيّة، رغم أنّ الإباضيّين لم يكونوا مهيّئين لمجابهة قوّة ولاة بني أميّة، لأنّها لم تستقرّ عن أيّ شيء سوى إضعاف الحركة وتأجيل ظهور ثورة أبي الخطّاب المعافري سنة 140هـ/757م، وكانت الزعامة في كلّ الثّورات التي خاضها الإباضيّة لهوارة، فقد تزعّمتها في غالبها من البداية إلى النّهاية[29]، وكان ذلك إمّا في إطار تحالف بربريّ أو بشكل ثورات منفردة، ونذكر منها:

2-2-1 ثورة عبد الله بن مسعود التجيبي:

كانت هذه الثّورة في عهد الوالي عبد الرحمن بن حبيب، عمدت قبيلة هوارة إلى مبايعة أحد زعماء المذهب ويسمّى عبد الله بن مسعود التجيبي، والذي لم يمهله الوالي الأمويّ الكثير حتّى قتله، فما كان من قومه سوى طلب القصاص، لكنّ والي بني أميّة رفض طلب قبيلة هوارة[30]، ممّا أدّى إلى إثارة نفوس إباضيّة هوارة وشجّعهم على التحضير لثورة عارمة.

2-2-2 ثورة الحارث وعبد الجبّار الهواريّين130هـ:

بعد مقتل عبد الله التجيبي، عزمت قبيلة هوارة على بيعة الحارث بن تليد الحضرمي إمامًا، وعبد الجبّار بن قيس المرادي قاضيًا، وبخصوص هذه المهام المسندة لهذين القائدين نلاحظ تضاربًا بين المصادر في ذكرها، فيذكر ابن عبد الحكم أنّ الحارثَ إمام حرب وعبد الجبّار إمامُ صلاةٍ[31]، أمّا البراديّ فيصفهما بأنّهما مشتركين في الملك وقال:

---

[26]- محمد بن حسن، القبائل والأرياف المغربيّة في العصر الوسيط، ط1، دار الرياح الأربعة للنشر، تونس، 1986، ج2 ص 85.

[27]- نفسه، ج2، ص ص 287، 289.

[28]- محمود إسماعيل عبد الرزّاق، الخوارج في بلاد المغرب حتّى منتصف القرن الرّابع الهجريّ، دار الثقافة، د ط، 1985، الدار البيضاء، المغرب، ص 80.

[29]- لقبال موسى، المغرب الإسلامي منذ بدء معسكر القرن حتّى إنشاء ثورات الخوارج، ط1، مطبعة البعث، 1969، ص 231.

[30]- ابن عبد الحكم عبد الرحمن، فتوح إفريقيا والأندلس، بيروت، 1964، ص 106.

[31]- البرادي، أبو القاسم بن إبراهيم، كتاب الجواهر في إتمام ما أخلّ به كتاب الطّبقات، طبعة حجريّة، قسنطينة، الجزائر، 1302م، ص 189.

"وكانا؛ أي الحارث وعبد الجبّار- مشتركين في الملك"[32]، أمّا الشمّاخي فيذكر أنّ أحدهما إمام والآخر وزير أو قاضٍ[33].

ومهما كانت مهامّ هذين القاضيين فإنّ النيّة كانت واضحة لقبيلة هوارة وهي أخذ القصاص من قتلة قائدها الأوّل التجيبي، والّتي أدركت أنّه لن يكون إلا بالقضاء على بني أميّة وإنهاء وجودهم بإفريقية على الأقلّ.

فكانت البداية بمحاصرة والي طرابلس حميد بن عبد الله العكيّ في إحدى قرى طرابلس[34]، ومن إفرازات هذا الحصار قتل اتباع حميد بداية بقائد جيشه نصير بن راشد قصاصًا في عبد الله بن مسعود التجيبيّ[35]، وانتهاء الأمر بعزل حميد بن عبد الله نفسه، وتعيين يزيد بن صفوان المعافريّ مكانه[36]، واستولت هوارة على كلّ البلاد ماعدا المدينة داخل السّور[37]، وقد حاول والي القيروان عبد الرحمن بن حبيب القضاء على ثورة الحارث وعبد الجبار بعديد الطرق كالدسائس[38]، أو بالتجهيز بحشد أمهر قادته[39].

لكنّ كلّ هذه المحاولات سقطت أمام قبيلة هوارة ليجد عبد الرحمن بن حبيب نفسه أمام ضربات قبيلة هوارة مجدّدًا، وفي هذا السياق يقول البرادي: "وكانت الكثرة من البربر هوارة، فقتل الله بهما؛ أي الحارث وعبد الجبّار- أهل الخلاف قتلا ذريعًا"[40]، وتزامن هذا مع حدوث مؤامرات على خلعه بالقيروان، ممّا دفع به الى الرّجوع إلى القيروان على جناح السّرعة، وفي هذه الظّروف والمحن الّتي مرّ بها بلغ مسامعه نبأ مقتل الحارث وعبد الجبّار سنة 131هـ/749م، وهنا تجدر الإشارة أنّ المصادر اختلفت حول ذكر حقيقة هذه الحادثة، فوصفها البرادي بأنّها مكيدة من قبل عبد الرحمن بن حبيب لكي يبثّ الفرقة بين الإباضية[41]، وهو التوجّه الّذي ذهبت إليه أغلب المصادر الإباضيّة، في حين تشير بعض المصادر الأخرى بأنّها مسألة فقهيّة اختلف فيها الرّجلين وانتهت بقتل كلّ

---

[32]- محمد بن حسن، المرجع السابق، ص 57.
[33]- تابليت عمر، المرجع السابق، ص 57.
[34]- ابن عبد الحكم، المرجع السابق، ص 106.
[35]- نفسه، ص 106.
[36]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 223.
[37]- ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 102.
[38]- نفسه، ص ص 102- 107.
[39]- البرادي، المصدر السابق، ص 189.
[40]- نفسه، ص 189.
[41]- تابليت عمر، المرجع السابق، ص 59.

واحد منهما للآخر[42]، ومهما يكن من اختلاف في الرّوايات يبقى الأكيد أنّ هذه المسألة انعكست سلبًا وتحوّلت إلى نزاعٍ نظريٍّ محوره مسألة الرواية والبراءة، وكاد يتحوّل هذا النّزاع إلى حرب بين القبائل لولا تدخّل إمام المذهب الإباضيّ بالبصرة[43].

2-2-3 ثورة أبي الخطّاب (140-144هـ)

بعد رجوع وفد طلبة العلم الخمسة إلى بلاد المغرب، تمّ تعيين أبي الخطّاب عبد الأعلى بن السمح المعافري إمامًا للظّهور سنة 140هـ[44]، وكان أوّل ما قام به اشتراطه الكفّ عن ذكر مسألة مقتل الحارث وعبد الجبّار[45]، وعقد مداولات طويلة بمنطقة صياد الواقعة غرب طرابلس لمحاولة التأليف بين القبائل وتكوين مجالس من كبار مشائخ الإباضية لذات الغرض[46]، لتقضي هذه المداولات على بعث حركة اباضية جديدة بحلف قبلي يتكوّن من قبيلة هوارة ونفوسة وضريسة مع تقلّص دور زناتة.

وكانت أوّل انتصارات هذا الحلف فتح طرابلس وقابس[47]، وكان أمام أبي الخطّاب رهان جديد وهو طرد قبيلة ورفجومة الصفريّة من القيروان بعدما استجار به أهل القيروان، فكان ردّ أبي الخطّاب بالاستجابة ودعا الناس للجهاد[48]، وما كان على القبائل المتحالفة معه سوى تلبية الدّعوة وعلى راس هذه القبائل قبيلة هوارة، فخرج هذا الحلف سنة 141هـ ، في عدد كبير من الجيش قدّرته المصادر بستة آلاف مقاتل قاصدين القيروان[49]، وانتهي الحال بهزيمة قبيلة ورفجومة ومن ورائها كلّ أتباع الصفريّة في إفريقيّة، ويتوشح أبو الخطّاب ثوب أوّل إمام إباضيٍّ على القيروان، وبعد أن أمّنها بترك رفيقه في الدّراسة عبد الرحمن بن رستم واليًا عليها، رجع بعدها إلى طرابلس[50].

---

[42]- محمد بن حسن، المرجع السابق، ص 89.

[43]- الشماخي، أبو العباس أحمد بن سعيد بن الواحد ، كتاب السير، طبعة حجرية، قسنطينة، الجزائر، 1301هـ، ص 615. الورجلاني، يحي بن أبي بكر أبو زكريا، سير الأئمّة وأخبارهم، المكتبة الوطنيّة، الجزائر، 1979، ص 38.

[44]- الدرجيني، المصدر السابق، ص 38.

[45]- محمد بن حسن، المرجع السابق، ص 91.

[46]- محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 65.

[47]- ابن الأثير، عز الدين، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، تح: نخبة من العلماء، دار الكتب العلميّة، لبنان، 1987، ط1، ج4، ص 281. الورجلاني، نفسه، ص 38.

[48]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 224.

[49]- ا بن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص 281.

[50]- ابن الاثير ، المصدر السابق، ج4، ص 281.

وبقيت قبيلة هوارة على العهد في نصرة المذهب الإباضي، وتوالت انتصاراتها على الخلافة في عديد من المعارك كمعركة سرت بقيادة مالك بن سحران الهواري، ومعركة مغدامس غرب سرت، وبقي الحال هكذا إلى غاية معركة سرت الثانية والتي عرفت بذلك النزاع القبليّ لأهم قطبيّ الحلف القبليّ الإباضيّ، وكان بين قبيلتي زناتة وهوارة نزاع بسبب قتيل من قبيلة زناتة، ويظهر أنّ الحكم كان لصالح قبيلة هوارة، فاتّهمت زناتة أبا الخطّاب بالانحياز والميل إلى هوارة ففارقته جماعة منهم، لتجد قبيلة هوارة نفسها وحدها مع أبي الخطّاب ضدّ ابن الأشعث مع بعض بطون نفوسة وطريشة[51]

لقد كان ثمن هذه المعركة مقتل أبي الخطّاب وأهمّ قادة قبيلة هوارة من أمثال أوس بن عمر الهواري وأبو يحي الهواري، ومع ذلك بقيت قبيلة هوارة مستميتة في نصرة الاباضية ضدّ ولاة الخلافة العبّاسيّة، وكلّلت هذه الاستماتة بانتصارات أبي حاتم الملزوزي، والّتي تقول إحدى الرّوايات أنّه من قبيلة هوارة، في معركة طرابلس ضدّ حازم سليمان، ومعركة قابس، فحاصر القيروان مدة ثمّ دخلها لكنّه قتل سنة 155ه على يد يزيد ابن حاتم، وقد حاولت قبيلة هوّارة أن تنتقم لمقتل قائدها أبي حاتم، وذلك بإعلان ثورة هوارة، بطرابلس بقيادة أبي يحي بن فرياس الهواري، لكن سرعان ما تمّ القضاء عليها[52].

3- إسهامات قبيلة هوارة في العهد الرستميّ:

تعتبر قبيلة هوارة من بين إحدى القبائل الهامّة الممثّلة لعصبة المذهب الإباضيّ، خاصّة عند بداية ظهوره، وبقيت هذه على العهد إلى أن أثمرت جهودها تأسيس الدّولة الرّستميّة والدّفاع عنها بشتّى الوسائل، بل وبالمشاركة في حياتها السياسيّة بعد ذلك سلبًا وإيجابًا في كلّ مضاربها، وبخاصّة في تيهرت، حيث كان لقبيلة هوارة علاقة متينة مع قبيلة لمّاية وبطونها، لوجود قسم من ظواغنها في إفريقيّة والمغرب، فربطوا العلاقات مع أجزاء من قبيلة لمّاية، كما كان لقبيلة هوارة نفس الدّور في طرابلس وجبل نفوسة، وعمومًا فإنّ الدّولة الرّستميّة ولدت من رحم الحركات القبليّة الّتي أفرزت كمركز ثقل جديد سياسي ومذهبيّ بعيدًا عن القيروان، تمثّل في حاضرة تيهرت الّتي كانت تسكن بها ومن حولها قبائل هوارة ولواتة ولمّاية ومكناسة ومزاتة ولواتة، والّتي كانت على المذهب الإباضيّ[53].

---

[51]- ابن الأثير، نفسه، ج4، ص 281. الدرجيني، المصدر السابق، ص 45. دبوز، المرجع السابق، ج3، ص 98. تابليت عمر، نفسه، ص 70.

[52]- تابليت عمر، المرجع السابق، ص 58. دبوز، المرجع السابق، ج3، ص 58. لقبال، المرجع السابق، ص 55. محمد بن حسن، المرجع السابق، ص 55.

[53]- دبوز محمد علي، المرجع السابق، ج3، ص 245، 255.

بادر رؤساء القبائل العتيدة إلى مبايعة عبد الرّحمن بن رستم إمامًا للدّولة الجديدة، لتتطلّع هذه القبائل بعدها إلى أدوار متباينة داخل الدّولة الرّستميّة تحت مظلة فارسيّة، كون عبد الرحمن بن رستم من أصول فارسيّة، فحاز على أسمى المناصب، وكانوا ينظرون إلى الدّولة وعلى أنّها دولتهم عليهم حمايتها، فكان نصيب نفوسة قيادة الدفّة السياسيّة، وتمتّعت بعدّة امتيازات إداريّة وعسكريّة واقتصاديّة[54].

بينما كان نصيب قبيلة هوارة امتهان حرف العامّة كالزّراعة والتجارة وغيرها، كما لم تحظ بمكانة تعادل دورها وقوّتها خاصّة أنّها كانت سندًا للدّولة الرّستميّة ومصدرا لقوّتها، فقد جنّدت قبيلة هوارة في حربٍ واحدة أكثر من ثلاثين ألف مقاتلٍ وألف فرسٍ أبلقٍ، أمّا غيره من المؤونة والعتاد فأضعاف هذا[55]، ورغم كلّ هذا ظلّت قبيلة هوارة محافظة على تواجدها داخل نسيج الدّولة الرستميّة، وهذا في حدّ ذاته قرينة قويّة على أنّ هذه القبيلة قد تشبّعت بالمسحة المذهبيّة الإباضيّة في كنف الإمامة الرّستميّة، وهو ما جمعها بباقي العصبيات الأخرى المشكّلة للدّولة الرّستميّة، وممّا لا ريب فيه هو أنّ انتهاك تعاليم المذهب الإباضيّ وتحوّل الإمامة إلى مُلكٍ، من شأنه أن يفجّر تلك الحزازات العصبيّة والنّعرات العنصريّة[56]، وكذلك هو الحال بالنسبة لقبيلة هوارة.

4- ثورات هوارة بالمغرب الأوسط:

4-1 ثورة هوارة على الإمام عبد الوهاب:

بدأت بوادر الاختلاف بين قبيلة هوارة والإمام عبد الوهاب عندما بادر هذا الأخير الى محاولة فضّ إئتلاف وتحالف قبيلتيّ هوارة ولواتة، فقد بنى عبد الوهاب سياسته على منع التحالفات بين القبائل الكبرى في دولته، معتبرًا ذلك تأمينًا للجبهة الدّاخليّة للدّولة[57]، كونه فارسيا غريبا عن البربر لا عصبية تأويه وتدافع عنه[58]، فبسبب ذلك قام بمنع مصاهرة أحد رؤساء بني مسالة من هوارة بجارية من قبيلة لواتة منعًا لقيام تحالفٍ داخليٍّ بين القبيلتين، وهنا زوّدنا ابن الصغير بنص يقول فيه: " فأرسل عبد الوهاب إلى الرّجل فأحضره فأجلسه وخطب إليه ابنته فزوّجه إياها فاتصل ذلك بالأوس فقال: عمل

[54]- دبوز محمد علي، نفسه، ج3، ص 287. محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 111، 127.. أحمد عزاوي، المرجع السابق، ج1، ص39، 99. الحبيب الجنحاني، المغرب الإسلامي، ص 126.

[55]- دبوز محمد علي، المرجع السابق، ج3، ص366.

[56]- محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 170.

[57]- محمد زينهم محمد عزب، قيام الدّولة الرّستميّة في المغرب، دار العالم العربيّ، ط1، القاهرة، 2013، ص 104.

[58]- الباروني، الأزهار الرياضيّة، ج2، ص 123.

عليّ في جارية خطبتها ورضى إليّ بتزويجها فانتزعها منّي بسلطانه"[59]، فغضب مقدم بني مسالة وأحس بالظّلم فثار عشيرته وقرّروا مغادرة تيهرت[60]، ونزلوا بوادي هوارة، وبدأت هذه الجماعات بالقيام بأعمال عنف في حق رعايا الدّولة الرّستميّة[61].

وهنا وجب الإشارة إلى ذلك الاختلاف الذي ووقع فيه المؤرّخون حول هذه الحركة، فمنهم من وضعها في سياق ثانٍ وهو الانشقاقات المذهبية كابن الصغير المالكي، وآخرون يضعونها في سياق أنّها مجرّد تمرّد سببه العصبية القبلية حول الانتصار لأحد أفراد قبيلة هوارة بعد حرمانه من مصاهرة قبيلة لواتة، بمعنى انه لا وجود لأيّ خلافٍ فقهيٍّ أو مذهبيّ[62]، ومهما يكن، فقد عزمت قبيلة هوارة على الثّورة في حين قام الإمام عبد لوهاب بالتحقّق من صحّة تلك الأعمال التي كانت تقوم بها هوارة ضدّ رعاياه، ثمّ عزم بعدها التحرك بجيشه لتأديب بني مسالة، فتجمع للإمام خلق عظيم، وقصدوا واد إسلان، حيث التقى الفريقان[63]، وانتهت المعركة بهزيمة هوارة وفرار فلولها إلى جبل صغير يضمّ قلعة هوارة التي تدعى اليوم قلعة بني راشد الواقعة بجبال ما بين غليزان ومعسكر فوق إقليم الهليل وعاصمتها مينة[64].

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ هذه الإمارة كانت معادية للدّولة الرّستميّة طيلة فترة إمامة عبد الوهاب بن رستم، بل أنّ أميرها محمد بن مسالة استغلّ فرصة القلاقل الّتي ظهرت بعد وفاة عبد الوهاب بن بن رستم ودخل بمجموعة الهواريين إلى تيهرت وبقي حكمه بها على مدار ثماني سنوات[65].

2-4 موقف هوارة من الإمام أفلح وخلفه:

تحمّل الإمام أفلح بن عبد الوهاب عبء العداء الذي كان بين والده عبد الوهاب وإمارة هوارة، لذلك كان يغلب على مرحلة إمامته مظاهر الصّراع والتناحر، وبوفاته بايعت قبيلة نفوسة أبا بكر بن أفلح بالإمامة رغم عدم قبول بعض أهل المدينة به واحتجاج فقهاء المذهب الإباضيّ على ذلك، حيث كان ميّالًا إلى هواياته مولعًا بالأدب، تاركًا الأمر لأخيه

---

[59]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص 21.

[60]- الشماخي، السير، تح: أحمد بن مسعود الشيباني، ج1، وزارة التراث القوميّ والثقافة، ط2، 1970، ص 162.

[61]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص45، 46.

[62]- محمود إسماعيل، نفسه، ص 121.

[63]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص 45، 46.

[64]- تابليت عمر، المرجع السابق، ص 91.

[65]- محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 121.

أبي اليقظان وصهره محمد بن عرفة ، كل هذا فتح المجال أمام أبواق الفتنة، إلى أن انتهى الأمر بقتل ابن عرفة في ظروف غامضة وإخراجه من تيهرت بعد استيلاء محمد بن مسالة الهواري عليها[66].

فالمتتبّع لنهج هوارة تجاه تلك التطورات السياسيّة التي سادت الدّولة الرّستميّة يلاحظ ذلك التذبذب فيها، كون أنّ هذه القبيلة ظلّت وفيّة للمذهب الإباضيّ الّتي كانت على ملّته آنذاك، وبقيت مسألة التضارب السّائد في مواقفها في إطار ردّات فعل تجاه الدّولة الرّستميّة ذاتها والقبائل المشكّلة لعصبتها، ونخص بالذكر مسألة اختيار امام وكذلك مسألة الحظوة في الدّولة والتحالفات القبليةّ وغيرها.

وفي هذا السياق لدينا عديد القرائن، منها أنّه منذ تولية أبي بكر الإمامة عرفت قبيلة هوارة انقسامًا بين بطونها بين مؤيّد لسياسته ومعارض لها[67]، بل هناك من غادر تيهرت عائدًا إلى موطنه الأوّل[68]، وفي هذا السياق يورد الباروني نصّا يوضّح ذلك بقوله: "...وقع بعض مشاحنة وتنافر بكثرة الأموال والأتباع بين القبائل لاسيما هوارة، فإنّها تحاسدت حتّى انقسمت، فانحاز قسم منها يعرف ببني الأوس إلى من والاه من القبائل الأخرى، وانحاز القسم الاخر، ويعرف بتهرنة كذلك إلى غيرها، وبقيت الحالة ساكنة لا حرب ولا نزاع ولا خروج عن طاعة الإمام"[69].

وقد كان لقبيلة هوارة تراجع في ميزان القوّة على عهد أبي اليقضان بعد أن أصبحت قبيلة لواتة محالفة للإمام ضدّ حليفها السابق هوارة، بل وبايعته من جديد بالإمامة وهو ما سار عليه معظم القبائل البربريّة وأنكرت حكم هوارة[70]ممّا أدى بابن مسالة إلى التنازل عن الحكم في تيهرت حقنًا للدماء وحفاظًا على تعاليم المذهب الإباضيّ.

5- ثورات هوارة بالمغرب الأدنى (طرابلس وجبل نفوسة):

لقد كان لقرب المسافة بين طرابلس وجبل نفوسةالأثر البالغ في ارتباط الأحداث البينية بين المنطقتين[71] خاصّة بعد خضوع طرابلس لقيادة الأغالبة، وفشل ثورة يحي بن فرياس الهواري بها، ممّا أفرز واقعًا جديدًا تمثّل في تعنّت الأغالبة، وانجرت عنه متاعب

---

[66]- محمود إسماعيل، نفسه، ص 128.

[67]- نفسه، نفس الصفحة.

[68] - تابليت عمر، نفسه، ص 92. محمود إسماعيل، نفسه، ص 128.

[69]- الباروني، الأزهار، ج2، ص 224.

[70]- محمود إسماعيل، نفسه، ص 130.

[71]- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج س كولان، وليفي بروفنسال، ج1، دار الثقافة، لبنان، ط2، 1983، ص 95.

كثيرة سببتها قبيلة هوارة للوجود العباسيّ ككل بمنطقة الجبل وطرابلس، ويبدو أنّ هوارة قد استمرّت بتتبع ما يحدث في طرابلس، خاصّة فيما تعلّق بتلك الاضطرابات القبليّة التقليديّة بين القيسيّة واليمنيّة، لاسيما في عهد الأمير الأغلبي إبراهيم ابن الأغلب[72]، ممّا شجّع قبيلة هوارة على الثّورة في وجه الأغالبة[73]، كما كان لتواجد الإمام الرّستميّ عبد الوهاب في جبل نفوسة القريب من طرابلس دعمًا إضافيًا لهوارة من أجل المبادرة للاستحواذ على طرابلس، وهو ما كان سنة 193هـ، بقيادة عياض بن وهب الهواري والذي قابله جند الأغالبة على مشارف طرابلس تحديدًا عند وادي الرّمل[74].

لقد نجحت هوارة في اجتياح مدينة طرابلس وألحقت بها الخراب والدّمار وفرّ منها جنود الأغالبة، ويصوّر لنا ابن الأثير هذه المعركة بقوله: "فثارت هوارة بطرابلس، فخرج الجند إلى المدينة فتبعهم هوارة، فخرج الجند هاربين إلى الأمير إبراهيم بن الأغلب ودخلوا المدينة فهدموا أسوارها"[75]، ولمّا بلغ صدى الانتصار الهوّاري مسامع إبراهيم بن الأغلب - والذي يبدو أنّه أعطى جرعة إضافية للنحلة الاباضية في مضارب طرابلس- أرسل اليها إبراهيم جيشًا بقيادة ابنه أبي العبّاس عبد الله في ثلاثة عشر ألف مقاتل[76]، وفي رواية أخرى قدّر عدد الجند بسبعة آلاف فارس، وبهم تمكّن من هزيمة هوارة واسترداد المدينة وحصّنها ببناء سورها[77].

وقد أشارت المصادر إلى المعاملة القاسية التي لقيتها القبيلة من عبد الله بن الأغلب، وربّما يعود هذا لكون هوارة كانت ضمن القبائل المنتمية سياسيًا للدّولة الرستميّة التي تعادي الأغالبة ومن ورائها الخلافة العبّاسيّة، فضلا على ذلك الصّراع المذهبيّ الذي كان بين الإباضيّة التي تحمل لواءها قبيلة هوارة، والسنة التي كان يحمل لواءها الأغالبة، وانطلاقا من ذلك البعد السياسي المذهبيّ الذي كان يجمع قبيلة هوارة بالدولة الرّستميّة والتي استغاثت بالإمام عبد الوهاب المتواجد آنذاك بجبل نفوسة، حيث رأى أنّ هزيمة هوارة إنّما هو مساسٌ بأركان دولته ووجود مذهبه، ولم يسعه إلا أن نهض لنجدتهم، فأعدّ الجيش الذي غلبت عليه سيوف نفوسة وحاصر طرابلس سنة

---

[72]- محمد زينهم محمد عزب، المرجع السابق، ص 108.

[73]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 95. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 197.

[74]- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير، العصر الإسلامي -دراسة تاريخية وعمرانية واثرية، دار النهضة العربيّة، بيروت، لبنان، 1981، ص 555.

[75]- ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 27.

[76]- محمد زينهم محمد عزب، المرجع السابق، ج1، ص 99.

[77]- دبوز محمد علي، المرجع السابق، ج3، ص 510.

196هـ/811م[78]، واشتدّ الحصار على أبي العبّاس عبد الله الذي غلق كلّ أبواب المدينة وبقي يقاتل من منفذ واحد وهو باب هوارة، ومن نتائجه اغتيال أحد أبرز دعاة الذهب الإباضيّ المهديّ النفوسيّ، وفي المقابل حُرم أبو العبّاس عبد الله من الولوج إلى القيروان، وبقي على تلك الحالة إلى غاية وفاة ابراهيم بن الاغلب، وهذا الذي دل عليه قول ابن الاثير : "فأخذ البربر الرسول والكتاب ودفعوه إلى عبد الوهاب بن عبد الرحمن... فأمر بأن ينادى عبد الله بن إبراهيم بموت أبيه"، وأمام تلك المحنة ووجوب التحاقه بالقيروان لاستلام عرشه من والده، اضطرّ عبد الله إلى مصالحة عبد الوهاب على أن يكون الساحل كلّه للدولة الرّستميّة ومدينة طرابلس والبحر للدّولة الأغلبية[79].

والحقيقة أنّ انتصار عبد الوهاب في حصاره لأبي العباس عبد الله الأغلبيّ هو انتصار للنحلة الإباضية أولا، وانتصار لقبيلة هوارة ثانيا، كون مضارب طرابلس هي موطن لها، ومن أجل ذلك بقيت هوارة تناضل من أجل الاستيلاء على مدينة طرابلس لاسيما في عهد أحمد بن محمد الأغلبي سنة 245هـ/860م، لكنّها كانت تصطدم في ذلك الوقت بمختلف أنواع الدّعم من حكام القيروان، ممّا جعل طرابلس عصية امام قبيلة هوارة[80].

الخاتمة:

كان لقبيلة هوارة دورٌ كبيرٌ في نصرة المذهب الإباضيّ قبيل ظهور الدّولة الرّستميّة ببلاد المغرب الإسلاميّ وأثناء ظهورها، كما كانت عمادًا له، مثلما كان انتشاره ببطون القبيلة بين المغرب الأوسط وطرابلس، ما جعلها تحتضنه في معاقلها، وبقيت على نفس النحلة معه.

قائمة المصادر و المراجع:

1. ابن الأثير عز الدين، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، تح: نخبة من العلماء، دار الكتب العلميّة، لبنان، 1987، ط1.

3 أحمد الزاوي الطاهر، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المدار الإسلامي، ط4، 2004، بيروت لبنان.

4 الإدريسي، أبي عبد الله الشريف، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق تح: إسماعيل العربي، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

[78]- ابن الأثير، الكامل، ج6، ص 27.

[79]- ابن الأثير، نفسه، ج6، ص 27

[80]- محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص: 143، 144.

5 البرادي أبو القاسم بن إبراهيم ، كتاب الجواهر في إتمام ما أخلّ به كتاب الطّبقات، طبعة حجريّة، قسنطينة، الجزائر، 1302م.
6 بوزياني الدراجي، القبائل الامازيغية، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010.
7 تابليت عمر، هوارة ودورها في تاريخ المغرب منذ بداية حركة الخوارج أواخر القرن 1 ه/7 م حتى انتهاء ثورة أبي يزيد، مخلد بن كداد 335ه/946م، دار المعية، ط1، 2011.
8 التيجاني أبو محمد بن أحمد رحلة التيجاني تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، (ليبيا تونس)، 1981.
9 حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الآداب بالجماميز، 1947.
10 ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، ج6، د ط، 1959.
11 الدرجيني، يحي بن أبي بكر أبو زكريا ، سير الأئمّة وأخبارهم، المكتبة الوطنيّة، الجزائر، 1979.
12 السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير، العصر الإسلامي -دراسة تاريخية وعمرانية واثرية، دار النهضة العربيّة، بيروت، لبنان، 1981.
13 الشماخي، أبو العباس أحمد بن سعيد بن الواحد ، كتاب السير، طبعة حجرية، قسنطينة، الجزائر، 1301ه.
14 ابن الصغير المالكي، أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر بحاز إبراهيم بكير، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.
15 ابن عبد الحكم عبد الرحمن، فتوح إفريقيا والأندلس، بيروت، 1964.
16 ابن عبد الوهاب بن منصور قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1968.
17 ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج س كولان، وليفي بروفنسال، ج1، دار الثقافة، لبنان، ط2، 1983.
18 القرشي، إدريس عماد الدين ، عيون الأخبار وفنون الآثار، تح: مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت- لبنان، (د ت).
19 لقبال موسى، المغرب الإسلامي منذ بدء معسكر القرن حتّى إنشاء ثورات الخوارج، ط1، مطبعة البعث، 1969.
20 محمد بن حسن، القبائل والأرياف المغربيّة في العصر الوسيط، ط1، دار الرياح الأربعة للنشر، تونس، 1986.
21 محمد زينهم محمد عزب، قيام الدّولة الرّستميّة في المغرب، دار العالم العربيّ، ط1، القاهرة، 2013.
22 محمد سليمان أيوب، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، دار المصراتي للطباعة والنشر، طرابلس، (د ت).
23 محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية، الجزائر، د ط، 2010.
24 محمود إسماعيل عبد الرزّاق، الخوارج في بلاد المغرب حتّى منتصف القرن الرّابع الهجريّ، رسالة دكتوراه، دار الثقافة، الدار البيضاء، د ط، 1985، .

25 مسعود مزهودي، جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام حتى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب(21-442هـ/242-1053م) قسم التاريخ، جامعة باتنة الجزائر.

26 مؤلف مجهول(ت 6هـ)، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الإسكندرية، 1958.

27 اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، البلدان، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان.

28